

تفسير سورة «التين»

مكية في قول الأكثر. وقال ابن عباس وقتادة: هي مدنية^(١). وهي ثماني آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي: هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت^(٢)؛ قال الله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغَ لِأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقال أبو ذر: أهدى للنبي ﷺ سلُّ تين؛ فقال: «كُلُوا» وأكل منه. ثم قال: «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة، لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس»^(٣).

وعن معاذ: أنه استاك بقضيب زيتون، وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «نِعَمَ السَّوَاكُ الزَّيْتُونُ، من الشجرة المباركة، يُطَيِّبُ الفم، ويذهبُ بالحفَر، وهي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»^(٤).

(١) ذكر قولهما الماوردي في النكت والعيون ٦/٣٠٠.

(٢) تفسير البغوي ٤/٥٠٤، والمحزر الوجيز ٥/٤٩٩، وأخرجه الطبري ٢٤/٥٠١-٥٠٣ عن الحسن وعكرمة ومجاهد وإبراهيم والكلبي. وأخرجه عن ابن عباس الحاكم ٢/٥٢٨.

(٣) الوسيط ٤/٥٢٣، والفردوس بمأثور الخطاب (٤٧١٦)، والكشاف ٤/٢٦٨، والمحزر الوجيز ٥/٤٩٩. وأخرجه أبو نعيم في الطب والثلعي، كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٦، وقال: وفي إسناده من لا يعرف.

(٤) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٤٦)، وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/٢٦٨. قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٦: إسناده واه. والحفر: صفرة تعلق الأسنان. القاموس (حفر).

وروي عن ابن عباس أيضاً: التين: مسجدُ نوحٍ عليه السلام الذي بُنيَ على الجوديِّ، والزيتونُ: مسجدُ بيتِ المقدسِ^(١).

وقال الضحاك: التينُ: المسجدُ الحرام، والزيتونُ: المسجدُ الأقصى.

ابن زيد: التين: مسجدُ دمشق، والزيتون: مسجدُ بيتِ المقدس. قتادة: التين: الجبلُ الذي عليه دمشق، والزيتونُ: الجبلُ الذي عليه بيتُ المقدس^(٢).

وقال محمد بن كعب: التينُ: مسجدُ أصحابِ الكهفِ، والزيتونُ: مسجدُ إيلياء^(٣).

وقال كعبُ الأحبارِ وقتادةُ أيضاً وعكرمةُ وابنُ زيد: التينُ: دمشق، والزيتونُ: بيتُ المقدس^(٤). وهذا اختيارُ الطبري^(٥).

وقال الفراء: سمعتُ رجلاً من أهلِ الشام يقول: التينُ: جبال ما بين حُلوانَ إلى هَمَذان، والزيتونُ: جبالُ الشام^(٦).

وقيل: هما جبلان بالشام، يقال لهما: طورُ زَيْتًا وطورُ تَيْنا بالسريانية، سُمِّيا بذلك لأنهما يُنبتانِهما^(٧). وكذا رَوَى أبو مَكِينٍ عن عكرمة، قال: التينُ والزيتونُ: جبلان بالشام^(٨). وقال زهير^(٩):

(١) أخرجه الطبري ٥٠٤/٢٤.

(٢) أخرج القولين الطبري ٥٠٣/٢٤، وقول قتادة أخرجه أيضاً عبد الرزاق ٣٨٢/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٤/٥، والنكت والعيون ٣٠١/٦، وتفسير البغوي ٥٠٤/٤. وإيلياء هي بيت المقدس.

(٤) النكت والعيون ٣٠٠/٦ عن كعب وابن زيد.

(٥) كذا ذكر المصنف، والذي قاله الطبري في تفسيره ٥٠٤/٢٤: والصواب من القول عندنا قولُ مَنْ قال: التين هو التين الذي يؤكل، والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٧٦/٣، وفيه: سمعت رجلاً من أهل الشام وكان صاحب تفسير يقول...

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٢. وطور زيتا: بيت المقدس، وطور تينا: دمشق. ينظر الدر المنثور ٣٦٦/٦.

(٨) الوسيط ٥٢٣/٤، وأخرجه الطبري ٥٠٤/٢٤ دون قوله: بالشام. وأبو مَكِينٍ هو نوح بن ربيعة الأنصاري مولاها، البصري. من رجال التهذيب.

(٩) كذا في النسخ، والصواب أنه للناطقة، على ما يأتي.

أَتَيْنَ التَّيْنَ عَنْ غُرُضٍ^(١)

وهذا اسمٌ موضع. ويجوزُ أن يكون ذلك على حذفِ مضافٍ، أي: وَمَنَابِتِ التَّيْنِ والزيتون. ولكن لا دليلَ على ذلك من ظاهرِ التنزيل، ولا من قولٍ من لا يجوزُ خلافُه؛ قاله النَّحَّاسُ^(٢).

الثانية: أصحُّ هذه الأقوالِ الأوَّلُ؛ لأنَّه الحقيقةُ، ولا يُعدَّلُ عن الحقيقةِ إلى المجازِ إلاَّ بدليلٍ. وإنما أفسَمَ الله بالتين؛ لأنه كان سترَ آدمَ في الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] وكان ورقَ التين^(٣).

وقيل: أفسَمَ به لبيِّنَ وَجْهَ المِنَّةِ العُظْمَى فيه؛ فإنَّه جميلُ المنظر، طيِّبُ المَخْبِرِ، نَشِيرُ الرَّائِحَةِ، سهلُ الجَنِيِّ، على قَدْرِ المَضْغَةِ، وقد أحسنَ القائلُ فيه:

انظُرْ إلى التَّيْنِ فِي الغُصُونِ ضُحَى مَمْرَقَ الجِلْدِ مائِلَ العُنُقِ
كَأَنَّهُ رَبُّ نِعْمَةٍ سُلِبَتْ فعاد بعدَ الجَدِيدِ فِي الخَلْقِ
أصغرُ ما فِي النُّهُودِ أكبرُهُ لكن يُنادَى عليه فِي الطَّرِيقِ^(٤)
وقال آخَرُ:

التَّيْنُ يَغْدِلُ عِنْدِي كُلَّ فَاكِهَةٍ إِذَا انْتَنَى مائِلاً فِي غُضْنِهِ الرَّاهِي
مُخَمَّشُ الوَجْهِ قَدْ سالتْ حِلاوَتُهُ كَأَنَّهُ رَاكِعٌ مِنْ خَشِيَةِ اللّهِ

وأفسَمَ بالزيتون لأنه مثلُ به إبراهيم في قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥] وهو أكثرُ أدمَ أهلِ الشَّامِ والمغرب؛ يَصْطَبِغُونَ به^(٥)، ويستعملونه

(١) ديوان النابغة ص ١٠٢ ، وتمامه :

صُهِبَ الطَّلَالِ أَتَيْنَ التَّيْنَ عَنْ غُرُضٍ يُزَجِينَ غَيْمًا قَلِيلاً ماؤُهُ شَيْمًا
يصف سحائب لا ماء فيها. والتين المذكور في هذا البيت هو جبل بنجد لبني أسد، أو جبل في دار غطفان. ينظر معجم ما استعجم ١/ ٣٣١ ، ومعجم البلدان ٢/ ٦٩ ، واللسان (تين).

(٢) وقاله أيضاً الطبري ٢٤/ ٥٠٤ .

(٣) ذكره الرازي ٣٢/ ٩ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٣٩ .

(٥) أي: يأتدمون به. القاموس (صبغ).

في طبيخهم، وَيَسْتَضْبِحُونَ به، وَيُدَاوَى به أدواءَ الجوفِ والقروح والجراحات، وفيه منافع كثيرة. وقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُوا الزَيْتَ وَادَّهِنُوا به؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ». وقد مضى في سورة «المؤمنون» القولُ فيه^(١).

الثالثة: قال ابن العربي^(٢): ولا متنان البارئ سبحانه، وتعظيم المِنَّة في التين، وأنه مُقَاتٌ مَدَّخِرٌ، قلنا بوجوب الزكاة فيه. وإنما فرَّ كثيرٌ من العلماء من التصريح بوجوب الزكاة فيه، تَقِيَّةً جَوْرَ الولاية؛ فإنهم يتحاملون في الأموال الزكائية، فيأخذونها مَغْرَمًا، حَسَبَ ما أَنْذَرَ به الصادقُ عليه السلام. فكره العلماء أن يجعلوا لهم سبيلاً إلى مالٍ آخَرَ^(٣) يتشَطَّطون فيه، ولكن ينبغي للمرء أن يخرج عن نِعْمَةِ رَبِّه، بأداء حَقِّه. وقد قال الشافعي لهذه العِلَّةِ وغيرها: لا زكاة في الزيتون. والصحيح وجوبُ الزكاة فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾

روى ابن أبي نَجِيحٍ عن مجاهد: «وطور» قال: جبل. «سَيْنِينَ» قال: مبارك، بالسريانية^(٤). وعن عكرمة عن ابن عباس قال: «طور» جبل، و«سَيْنِينَ» حَسَنٌ^(٥). وقال قتادة: «سَيْنِينَ» هو المَبَارَكُ الحَسَنُ^(٦).

وعن عكرمة قال: الجبل الذي نادى الله جلَّ ثَنَاؤُهُ منه موسى عليه السلام^(٧).

وقال مقاتلٌ والكلبيُّ: «سَيْنِينَ»: كلُّ جبلٍ فيه شجرٌ مَثْمِرٌ، فهو سَيْنِينَ وسَيْنَاءٌ،

(١) ٣٣/١٥. وقوله: مثل به إبراهيم، هو على قول من قال: إن الشجرة المباركة هي إبراهيم عليه السلام، سماه الله مباركاً لأن أكثر الأنبياء كانوا من صلبه.

(٢) في أحكام القرآن ٤/١٩٣٩.

(٣) في النسخ الخطية: أحد، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٤) أخرجه الطبري ٥٠٧/٢٤ دون قوله: بالسريانية، وكذلك هو في تفسير مجاهد ٧٦٩/٢.

(٥) أخرجه الطبري ٥٠٦/٢٤ عن عكرمة. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: سَيْنِينَ هو الحسن بلغة الحبشة. الدر المنثور ٦/٣٦٦.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢/٣٨٢، والطبري ٥٠٧/٢٤ بلفظ: جبل بالشام مبارك حسن.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/٣٠١ عن كعب الأحبار. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤٩٩: لم يُخْتَلَفَ أنه جبل بالشام كلم الله عليه موسى، ومنه نودي.

بُلْغَةِ النَّبْطِ^(١).

وعن عمرو بن ميمون قال: صَلَّيْتُ مع عمر بن الخطاب العشاء بمكة، فقرأ: «التين والزيتون وطورِ سِيناء. وهذا البلد الأمين» قال: وهكذا هي في قراءة عبد الله، ورفع صوته تعظيماً للبيت. وقرأ في الركعة الثانية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ و﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ جَمَعَ بينهما. ذكره ابن الأنباري^(٢). النَّحَّاسُ: وفي قراءة عبد الله: «سِيناء» بكسر السين، وفي حديث عمرو بن ميمون عن عُمر بفتح السين.

وقال الأخفش: «طُور» جبل. و«سِينين» شجرٌ، واحده: سِينينة^(٣).

وقال أبو علي: «سِينين» فِعْلِيلٌ، فَكُرِّرَتِ اللَّامُ التي هي نونٌ فيه، كما كُرِّرَتْ في زَحْلِيلٍ: للمكان الزَّلِقُ، وكِرْدِيدَةٌ: للقطعة من التمر، وخِنْدِيدٌ: للطويل. ولم يَنْصَرِفِ «سِينين» كما لم ينصرف سِيناء؛ لأنه جُعِلَ اسماً لبقعةٍ أو أرضٍ، ولو جُعِلَ اسماً للمكان أو للمنزل أو اسمَ مذكَرٍ لَانْصَرَفَ؛ لِأَنَّكَ سَمَّيْتَ مَذْكَراً بِمَذْكَرٍ^(٤).

وإنما أُقْسِمَ بهذا الجبل لأنه بالشام والأرض المقدَّسة، وقد بارك الله فيهما، كما قال: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾

يعني مكة. سَمَّاهُ آمِيناً لأنه آمِنٌ، كما قال: ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] فالأمين: بمعنى الآمن؛ قاله الفراء وغيره، قال الشاعر:

أَلَمْ تَعَلَّمِي يَا أَسْمُ وَيَحْكُ أَنْنِي حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أُخُونُ أَمِينِي^(٥)

(١) الوسيط ٥٢٣/٤، وزاد المسير ١٧٠/٩ عن مقاتل.

(٢) في كتاب المصاحف، وأخرجه أيضاً عبد بن حميد. الدر المنثور ٣٦٦/٦. وقراءة: «سِيناء» عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما في القراءات الشاذة ص ١٧٦.

(٣) ذكره عن الأخفش البكري في معجم ما استعجم ٨٩٨/٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٩/٥، وهو في معاني القرآن للأخفش ٧٤٠/٢ مختصراً بلفظ: «وطور سِينين» واحدها السِينينة.

(٤) بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٤٩٨/٢ - ٤٩٩.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٧٦/٣، وذكره أيضاً ابن الأنباري في الأضداد ص ٣٤، والطبري ٥٠٨/٢٤، والجوهر في الصحاح (أمن).

يعني: آمِني. وبهذا احتجَّ مَنْ قال: إنه أراد بالثَّين دمشقَ، وبالزيتون بيتَ المقدسِ. فأقسمَ الله بجبلِ دِمَشقَ؛ لأنه مأوى عيسى عليه السلام، وبجبلِ بيتِ المقدسِ؛ لأنه مُقامُ الأنبياءِ عليهم السلامُ، وبمكةَ لأنها أثرُ إبراهيمَ ودارُ محمدٍ صلى الله عليهما وسلم^(١).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَتَقَلَّ سَفِيلِينَ ﴿٥﴾ ﴿٢﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذا جوابُ القسم. وأراد بالإنسان: الكافر؛ قيل: هو الوليد بنُ المُغيرة^(٢). وقيل: كَلْدَة بنُ أسيد^(٣). فعلى هذا نزلت في مُنكري البعث. وقيل: المرادُ بالإنسان آدمُ وذريته.

﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ وهو اعتداله واستواءُ شبابه؛ كذا قال عامَّةُ المفسرين، وهو أحسنُ ما يكون؛ لأنه خَلقَ كلَّ شيءٍ مُنكبًا على وجهه، وخالقه هو مستويًا، وله لسانٌ ذَلِقٌ، ويَدٌ وأصابعٌ يقبضُ بها.

وقال أبو بكر بن طاهر: مزيَّنًا بالعقل، مؤدِّيًا للأمر، مَهْدِيًا بالتمييز، مديدًا القامة؛ يتناولُ مأكوله بيده.

ابن العربي^(٤): ليس لله تعالى خَلقٌ أحسنُ من الإنسان؛ فإنَّ الله خَلَقَهُ حَيًّا عالِمًا، قادرًا مريدًا متكلمًا، سميعًا بصيرًا، مدبِّرًا حكيماً. وهذه صفاتُ الربِّ سبحانه، وعنهما عبَّرَ بعضُ العلماء، ووقع البيانُ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٣٩ - ١٩٤٠. وقال الرازي ٩/٣٢: فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/١٧١ عن عطاء.

(٣) النكت والعيون ٦/٣٠٢، وزاد المسير ٩/١٧١ عن ابن عباس.

(٤) في أحكام القرآن ٤/١٩٤٠.

واليدان وما بَطَشْتَاهُ، والرَّجْلَانِ وما اِحْتَمَلْتَاهُ. ولذلك قالت الفلاسفة: إِنَّهُ الْعَالَمُ الْأَصْغَرُ؛ إذ كلُّ ما في المخلوقات جُمِعَ فيه^(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: إلى أَرْدَلِ الْعَمْرِ، وهو الْهَرَمُ بعد الشباب، وَالضَّعْفُ بعد الْقُوَّةِ، حتى يصير كالصبيِّ في الْحَالِ الْأَوَّلِ؛ قاله الضَّحَّاكُ وَالْكَلْبِيُّ وغيرُهما^(٢).

وروى ابنُ أَبِي نَجِيحٍ عن مجاهد: «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» إلى النار، يعني الْكَافِرَ. وقاله أَبُو الْعَالِيَةِ^(٣).

وقيل: لَمَّا وَصَفَهُ اللهُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي رُكِّبَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا، طغى وعلا، حتى قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] وحين علم الله هذا من عبده، وقضاؤه صادر^(٤) من عنده، رَدَّهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، بَأَنَّ جَعَلَهُ مَمْلُوءًا قَدْرًا، مَشْحُونًا نَجَاسَةً، وَأَخْرَجَهَا عَلَى ظَاهِرِهِ إِخْرَاجًا مُنْكَرًا، عَلَى وَجْهِ الْإِخْتِيَارِ تَارَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَلْبَةِ أُخْرَى، حَتَّى إِذَا شَاهَدَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، رَجَعَ إِلَى قَدْرِهِ^(٥). وقرأ عبد الله: «أَسْفَلَ السَّافِلِينَ»^(٦).

وقال: «أَسْفَلَ سَافِلِينَ» على الجمع؛ لأنَّ الْإِنْسَانَ فِي مَعْنَى جَمْعٍ، وَلَوْ قَالَ: أَسْفَلَ سَافِلٍ جَازٍ؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْإِنْسَانِ وَاحِدٌ. وتقول: هذا أَفْضَلُ قَائِمٍ. ولا تقول: أَفْضَلُ قَائِمِينَ؛ لِأَنَّكَ تُضْمِرُ لَوَاحِدٍ، فَإِنْ كَانَ الْوَاحِدُ غَيْرَ مُضْمَرٍ لَهُ، رَجَعَ اسْمُهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٩٤١/٤.

(٢) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون ٣٠٢/٦، وأخرجه الطبري ٥١٣/٢٤ - ٥١٤ عن ابن عباس وعكرمة وإبراهيم وقتادة.

(٣) النكت والعيون ٣٠٢/٦، وأخرجه عن مجاهد الطبري ٥١٥/٢٤.

(٤) في (د) و(ي): صار.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٩٤١/٤.

(٦) المحرر الوجيز ٥٠٠/٥، وتفسير البغوي ٥٠٤/٤، والكشاف ٢٦٩/٤.

﴿الْمُنْفُوتُ﴾ [الزمر: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبْنَا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقد قيل: إن معنى «رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ»، أي: رَدَدْنَاهُ إِلَى الضَّلَالِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢].

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: إِلَّا هَؤُلَاءِ، فَلَا يُرَدُّونَ إِلَى الْهَرَمِ^(١). والاستثناء على قول مَنْ قال: «أَسْفَلَ سَافِلِينَ»: النار، مَتَّصِلٌ. وَمَنْ قال: إنه الْهَرَمُ، فهو مُنْقَطِعٌ^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه تَكْتَبُ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ، وَتُمْحَى عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ، قاله ابن عباس. قال: وهم الذين أَدْرَكَهُمْ الْكِبَرُ، لَا يُؤَاخِذُونَ بِمَا عَمَلُوهُ فِي كِبَرِهِمْ^(٣).

وروى الضحاك عنه قال: إذا كان العبدُ في شبابه كثيرَ الصلاةِ كثيرَ الصيامِ والصدقةِ، ثم ضَعُفَ عَمَّا كَانَ يَعْمَلُ فِي شَبَابِهِ، أَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي شَبَابِهِ^(٤).

وفي الحديث: قال النبي ﷺ: «إِذَا سَافَرَ الْعَبْدُ أَوْ مَرِضَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»^(٥).

(١) في (م): إلى ذلك. بدل قوله: إلى الهرم، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الأنسب بسياق الكلام بعده. وقد وقع هذا الكلام في النسخ الخطية متأخراً عن موضعه هنا، وينظر التعليق التالي.

(٢) من قوله: وقال أسفل سافلين على الجمع... إلى هذا الموضع، وقع في النسخ الخطية بعد قوله الآتي: ويكتب له ذلك. قبل تفسير قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

(٣) أخرجه الطبري ٥١٨/٢٤، وفي آخره زيادة: وهم هرمة لا يعقلون.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٥١٨/٢٤ من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه أحمد (١٩٦٧٩)، والبخاري (٢٩٩٦) من حديث أبي موسى الأشعري ؓ.

وقيل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه لا يَحْرَفُ ولا يَهْرَمُ، ولا يذهبُ عقلُ مَنْ كان عالِماً عاملاً به. وعن عاصمِ الأَحولِ عن عكرمةَ قال: مَنْ قرأ القرآنَ لم يُرَدَّ إلى أرذلِ العمرِ^(١).

ورُوي عن ابنِ عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «طُوبَى لِمَنْ طالَ عمرُه وحَسُنَ عملُه»^(٢).

ورُوي: إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا ماتَ أمرَ اللهُ مَلَكيه أن يتعبدا على قبره إلى يومِ القيامة، ويكتب له ذلك^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال الضحاك: أجرٌ بغيرِ عملٍ^(٤). وقيل: غيرُ مقطوع.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ ﴿٧﴾﴾

قيل: الخطابُ للكافر؛ توبيخاً وإلزاماً للحجّة. أي: إذا عرَفْتَ أيها الإنسانُ أنَّ اللهُ خَلَقَكَ في أحسنِ تقويمٍ، وأنه يرُدُّكَ إلى أرذلِ العمرِ، وينقلُكَ من حالٍ إلى حالٍ، فما يحملكُ على أن تُكذِّبَ بالبعثِ والجزاء وقد أخبركَ محمدٌ ﷺ به؟
وقيل: الخطابُ للنبي ﷺ، أي: استتيقنْ مع ما جاءكَ من اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّه أحكمُ الحاكمين. رُوي معناه عن قتادة^(٥).

وقال قتادةُ أيضاً والفرءاء: المعنى: فَمَنْ يَكْذِبُكَ أَيُّهَا الرَسُولُ بعد هذا البيانِ

(١) أخرجه الطبري ٥١٧/٢٤.

(٢) تفسير أبي الليث ٤٩٢/٣. وأخرجه بنحوه أحمد (١٧٦٨٠) من حديث عبد الله بن بسر ؓ، و(٢٠٤١٥) من حديث أبي بكر ؓ، وسلف ٩٧/٥ و٢٦٤.

(٣) ذكره بنحوه مطولاً أبو الليث ٤٩٢/٣.

(٤) النكت والعيون ٣٠٣/٦، وتفسير البغوي ٥٠٥/٤.

(٥) أخرجه الطبري ٥٢٤/٢٤.

«بالدين» واختاره الطبري^(١). كأنه قال: فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، أي: على تكذيبك بالثواب والعقاب، بعدما ظَهَرَ من قدرتنا على خَلْقِ الإنسان والدين والجزاء. قال الشاعر:

دَنَا تَمِيمًا كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا دَانَتْ أَوَائِلَهُمْ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ^(٢)

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾

أي: أَتَنْنَ الْحَاكِمِينَ صُنْعًا فِي كُلِّ مَا خَلَقَ. وقيل: «بأحكم الحاكمين» قضاءً بالحق، وَعَدْلًا بَيْنَ الْخَلْقِ. وفيه تقرير^(٣) لمن اعْتَرَفَ من الكفار بصانع قديم. وألْفُ الاستفهام إذا دخلت على النَّفْيِ وفي الكلام معنى التوقيف صار إيجاباً، كما قال:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا^(٤)

وقيل: «فما يكذبك بعد بالدين». أليس الله بأحكم الحاكمين»: منسوخةً بآية السيف^(٥). وقيل: هي ثابتة؛ لأنه لا تنافي بينهما.

وكان ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما إذا قرأا «أليس الله بأحكم الحاكمين» قالوا: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. فيختار ذلك^(٦)، والله أعلم. ورواه الترمذي عن أبي هريرة قال: مَنْ قرأ سورة ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ فقرأ: ﴿أَلَيْسَ

(١) في تفسيره ٥٢٤/٢٤، وقول الفراء بنحوه في معاني القرآن ٢٧٧/٣.

(٢) البيت للطرماح، وهو في ديوانه ص ١٧٢، والنكت والعيون ٣٠٣/٦. ورواية الديوان: في سالف الأبد.

(٣) في النسخ عدا (ظ): تقدير، والمثبت من (ظ)، والنكت والعيون ٣٠٣/٦، والكلام منه.

(٤) وعجزه: وأندى العالمين بطون راح. والبيت لجرير، وهو في ديوانه ٨٩/١، وسلف ٣١٢/٤، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَنْتَهِ لَكَ صَدْرُكَ﴾.

(٥) زاد المسير ١٧٤/٩.

(٦) في (ظ): فنختار ذلك. والكلام من النكت والعيون ٣٠٣/٦ دون ذكر ابن عباس، وقد أخرجه بنحوه عن ابن عباس عبد الرزاق ٣٨٣/٢، والطبري ٥٢٦/٢٤.

اللَّهُ بِأَعْيُنِنَا **فَلْيُقَلِّبْ** بلى، وأنا على ذلك من الشَّاهِدِينَ^(١). والله أعلم.

سورة «العلق»

وهي مكِّيَّةٌ بإجماع، وهي أوَّلُ ما نزل من القرآن، في قول أبي موسى وعائشة رضي الله عنهما^(٢). وهي تسع عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

هذه السورة أوَّلُ ما نزل من القرآن في قولِ مُعْظَمِ المفسِّرين. نزل بها جبريلُ على النبي ﷺ وهو قائمٌ على حِراءٍ، فعَلَّمَهُ خمسَ آياتٍ من هذه السورة.

وقيل: إنَّ أوَّلَ ما نزل «يا أَيُّهَا المُدَّثِّر»؛ قاله جابر بنُ عبد الله، وقد تقدَّم^(٣).

وقيل: فاتحة الكتابِ أوَّلُ ما نزل؛ قاله أبو ميسرة الهَمْدَانِي^(٤).

وقال علي بنُ أبي طالب ﷺ: أوَّلُ ما نزل من القرآن ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]^(٥).

والصحيحُ الأوَّلُ؛ قالت عائشة: أوَّلُ ما بُدئَ به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصادقةُ،

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٧)، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧) وهو من طريق إسماعيل بن أمية، عن أعرابيٍّ، عن أبي هريرة به. قال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمَّى.

وذكر ابن أبي حاتم في العلل ٩٠/٢ عن أبي زرعة قوله: الصحيح إسماعيل بن أمية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبي هريرة موقوفاً.

(٢) سيأتي قولهما قريباً.

(٣) في بداية تفسير سورة المدثر ٣٥٥/٢١.

(٤) المحرر الوجيز ٥٠١/٥ وأحكام القرآن لابن العربي ١٩٤٢/٤، وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٩٤٢/٤.